الوصايا
في سورة الأنعام

بقلم
الدكتور المحمدي عبد الرحمن عوض
مدرس التفسير وعلوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) .

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) صدق الله العظيم .

سورة الأنعام الآيات ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد :

فما أحوج الإنسان إلى الوصايا المستمرة والتذكير الذى لا ينقطع حتى يسمو الإنسان بنفسه لشرف القرب من ربه . قال تعالى : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)[1] .

لذلك آثرت أن أكتب هذا البحث المتواضع (من وصايا القرآن في سورة الأنعام)[2] حتى أذكر نفسى وأذكر القراء معى بما علينا من التزامات تجاه خالقنا ومجتمعنا وأنفسنا .

ولقد قسمت هذا البحث إلى موضوعات متعددة بعدد الوصايا الموجودة فى الآيات الثلاث . بحثت كل وصية على حدة متناولا كل الأمور الفقهية[3] ولم يكن هذا هو القصد من بحثى لذلك أحلتها على الكتب المتخصصة فى ذلك التخصص - أعنى كتب الفقه .

ولما كان القصد من بحثى إظهار النواحى الأخلاقية والاجتماعية لتلك الوصايا وحكمة التشريع فيها من أوامر ونواهى ، وأثر ذلك التشريع فى ترابط المجتمع وتماسكه فقد أسهبت فى تلك الناحية ولكنه ليس بالإسهاب الممل الخالى من الفائدة - أسأل الله سبحانه أن يهدينا إلى سواء السبيل .

د . المحمدى عبد الرحمن عبد الله .

---

(١) الذاريات / ٥٥ .

(٢) أعنى الآيات الثلاث : ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٣) المسائل الجزئية المختلف فيها بين الفقهاء .

بين يدى البحث

هـذا البحث عنوانه « من وصايا القرآن » وقصدت بالوصايا : الوصايا العشر المذكورة فى سورة الأنعام الآية رقم ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، وسورة الأنعام سورة مكية عدد آياتها خمس وستون ومائة وهى شأنها كشأن السور المكية تعالج قضية العبودية والألوهية والعلاقة بينهما .

وهذه الوصايا العشر لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار .

وخلاصة القول : هذه الوصايا العشر هى قوام الدين كله ـ إنها قوام حياة الضمير بالتوحيد ، وقوام حياة الأسرة ، وقوام حياة المجتمع بالتكافل والطهارة فيما يجرى فيه من معاملات وقوام حياة الإنسانية ومايحوط الحقوق فيها من ضمانات مرتبطة بعهد الله وفى ختام هذه الوصايا يقرر القرآن أن هذا صراطه المستقيم ، وكل ما عداه سبل تتفرق بالناس عن سبيل الله .

هذه لمحة فى عجالة لموضوع البحث .

الوصية الأولى

النهى عن الإشراك بالله

قال تعالى : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا) .

لما ظهر بطلان ما ادعى المشركون من أن إشراكهم وإشراك آبائهم وتحريم ما حرموه بأمر الله ومشيئته بظهور عجزهم عن إخراج شيء يتمسك به فى ذلك وإحضار شهداء يشهدون بما ادعوا فى أمر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد أخرى عجزاً بينا أمر الله رسوله محمداً ﷺ بأن يبين لهم من المحرمات ما يقتضى الحال بيانه على الأسلوب الحكيم إيذاناً بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات . وأما الأطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى : (قل لا أجد) الآية[1] (تعالوا) أصله أن يقوله من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع حتى عم . والمراد به فى هذه الآية السمو والارتفاع كأن الله يقول للمشركين : ارتفعوا بأنفسكم إلى منهج السماء واسمعوا ما حرمه الله عليكم بدلا من أن تحرموا على أنفسكم أشياء لم يحرمها الله عليكم . (أتل) جواب الأمر (ما حرم ربكم عليكم) ما موصولة فى محل نصب به : أى أتل الذى حرمه ربكم عليكم ، والمراد من تلاوة ما حرم الله تلاوة الآيات المشتملة عليه ، ويجوز أن تكون مصدرية أى أتل تحريم ربكم ، (عليكم) متعلق بأتل أى أتل عليكم الذى حرم ربكم ، والأولى أن تكون متعلقة بحرم أى أتل الذى حرم ربكم عليكم ، وذلك هو الأنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة ، وذلك هو السر فى التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم (ربكم) فإن تذكير كونه تعالى رباً لهم ومالكا لأمرهم على الإطلاق من أقوى الدواعى إلى انتهائهم عما نهاهم عنه أشد انتهاء . وأن فى قوله : (ألا تشركوا به شيئا) مفسرة لفعل

---

(١) الأنعام / ١٤٥ ، ١٤٦ .

التلاوة المعلق بما حرم ، ولا ناهية وعطف الأوامر على النواهى الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بأن المأمور به لا يكون محرما دليل واضح . على أن التحريم راجع إلى الأضداد على الوجه المذكور فكأنه قيل : أتل ما حرم ربكم أن لا تشركوا ، ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان إليهما بين النهيين المكتنفين له المبالغة فى إيجاب مراعاة حقوقهما .

وهناك أقوال أخرى ، لكن الذى عليه التعويل هو هذا القول لأمور ، من جملتها : أن فى إخراج المعنى المراد توضيحه فى صورة النهى مبالغة فى بيان التحريم[1] .

ومن هذه الآية والآيات التى قبلها يظهر بوضوح أن المراد بالشرك : الشرك العلنى الواضح باتخاذ آلهة أخرى مع الله ، وكذلك الشرك الآخر الذى يتمثل فى مزاولة حق الحاكمية والتشريع للناس بما لم يأذن به الله . ولقد بين القرآن الكريم أن المسلم الذى يعدل عن أمر الله وشرعه إلى قول غيره يكون من المشركين . قال تعالى : (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)[2] .

مجادلة القرآن للمشركين :

المنطق يقتضى أن الخالق ، والرازق ، والمدبر هو الذى يعبد وحده ، وهذا هو المنطق الفطرى ، أما كون الإنسان يتخذ شركاء فى العبادة لله الخالق الرازق المدبر مع أنهم - أى الشركاء - لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ، فذلك هو الضلال . قال تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ، فذلكم الله ربكم الحق

(١) انظر تفسير أبو السعود جـ ٢ ص ٣٠٢ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٢١ .

فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون)[1] .

ويوجه القرآن الكريم سؤالا منطقياً للمشركين : هل للشركاء فى مظاهر قدرة الله من بدء الخلق وإعادته نصيب ؟ وكذلك هل للشركاء فى إرسال الرسل وإنزال الكتب نصيب ؟ قال تعالى : (قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون ٭ قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أم من لايهتدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون)[2] . والقرآن الكريم يجادل المشركين بالدليل الكونى المستمد من واقع الوجود ، فلو تعددت الذوات لتعددت الإرادات ولتعددت النواميس تبعاً لها ولوقع الاضطراب والفساد تبعاً لفقدان التناسق . قال تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)[3] .

ويسأل القرآن المشركين عن الدليل النقلى الذى يستندون إليه فى دعوى الشرك التى لا تعتمد على دليل ولكن المشركين لايستطيعون إثبات دعواهم .

قال تعالى : (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى وذكر من قبلى بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون)[4] .

ويسأل القرآن المشركين عن أسماء هؤلاء الشركاء إن كانوا صادقين فى دعواهم فلا يستطيعون الإجابة . قال تعالى : (وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لايعلم فى الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا

---

(١) سورة يونس : ٣١ ، ٣٢ .

(٢) سورة يونس : ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) سورة الأنبياء : ٢٣ .

(٤) سورة الأنبياء : ٢٤.

مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد)[1] .

موقف المشركين من المؤمنين :

إن المشركين يضمرون للمؤمنين الحقد والضغن ، ولا يودون لهم الخير وأعظم مايكرهونه للمؤمنين هو هذا الدين ، وأن يختارهم الله لهذا الخير ، وينزل عليهم هذا القرآن ويحبوهم بهذه النعمة ، ويعهد إليهم بأمانة العقيدة فى الأرض ، وهى الأمانة الكبرى فى الوجود .

قال تعالى : (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[2] .

وقال تعالى : (لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)[3] .

وقال تعالى : (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)[4] .

التوحيد أصل الفطرة والشرك أمر طارىء :

والتوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل للناس لا تبديل فيها

---

(١) سورة الرعد : ٣٣ .

(٢) سورة البقرة : ١٠٥ .

(٣) سورة آل عمران : ١٨٦ .

(٤) سورة المائدة : ٨٢ .

ولا تحويل. توحيد الإله وتوحيد المعبود ، فلا انفصال بين الألوهية والربوبية ولا مجال للشرك فى الألوهية ولا فى العبادة .. قاعدة ثابتة بثبوت النواميس الكونية ، متصلة بهذه النواميس وهى واحدة منها ـ قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)[1] .

وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)[2] .

وقال تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[3] .

ومشهد من مشاهد يوم القيامة يصور لنا حال المشركين حينما يسألون (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) هنا تتعرى الفطرة من الركام الذى ران عليها فى الدنيا ، ويقرون بربوبية الله وحده وينسون أنهم أشركوا بالله فى الدنيا وينفون عن أنفسهم الشرك بالله . قال تعالى :

(ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ، ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين)[4] .

ذلك المشهد يصور بوضوح أن التوحيد أمر فطرى .

أما الشرك فهو أمر طارىء نشأ متمثلا فى عبادة الأصنام فى عهد نوح عليه السلام بدأ أولا بتعظيم أشخاص (ودا ، وسواعاً ، ويغوث ، ويعوق ،

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .
(٢) سورة الأنبياء : ٢٥ .
(٣) سورة النحل : ٣٦ .
(٤) سورة الأنعام : ٢٢ ، ٢٣ .

ونسرا) فى حياتهم فلما رحلوا عن الحياة صنعوا لهم تماثيل فزين الشيطان للناس أن هذه هى الآلهة ، ثم اتسع الشرك بعد ذلك وأخذ ألوانا كثيرة ، فمن الناس من يشركون الجن ، ومنهم من يشركون الملائكة ، ومنهم من يشركون الأجداد والآباء ، ومنهم من يشركون الملوك والسلاطين ، ومنهم من يشركون الكهان والأحبار ، ومنهم من يشركون الأشجار والأحجار ، ومنهم من يشركون الكواكب والنجوم ، ومنهم من يشركون النار ومنهم من يشركون الليل والنهار ، ومنهم من يشركون القيم الزائفة ، والرغائب والأطماع ولا تنتهى أنماط الشرك وأشكاله فالشرك أخفى من دبيب النمل .

عن أبى على رجل من بنى كاهل . قال : خطبنا أبو موسى الأشعرى فقال : يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب . فقالا : والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذوناً لنا أو غير مأذون . فقال : بل اخرج مما قلت : خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل . فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يارسول الله ؟ قال : قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه(١) .

آثار الشرك بالله :

الشرك بالله له آثاره السيئة وعواقبه الوخيمة فى الدنيا والآخرة على الفرد والجماعة ، ومن بين هذه الآثار .

أولا : الإشراك بالله يحبط العمل :

من يشرك بالله فى الاعتقاد أو العبادة أو التلقى فإن مصيره أن يحبط عمله

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل جـ ٤ ص ٤٠٣ ط . بيروت .

أى أن يذهب ضياعاً ويهلك كما تهلك الدابة التى ترعى نبتا سماً فتنتفخ ثم تموت . قال تعالى : (ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)[1] .

ثانيا : المشركون محرومون من الأمان فى الدنيا :

المشركون يعيشون فى رعب وخوف وفزع لأن قلوبهم خاوية من السند الصحيح فهم أشركوا بالله آلهة لا سلطان لها ولا قوة . قال تعالى : (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا)[2] أما المؤمن الذى يوحد ربه ولا يتجه لأحد سواه لايخاف أحدا وكيف يخاف ؟ ومن أى شىء يخاف ومعه ربه ؟

ولقد واجه إبراهيم قومه بذلك المنطق السليم قال تعالى : (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ه الذى آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)[3] والظلم هو الشرك بالله .

ولقد أنهى القرآن الكريم العهود التى كانت قائمة بين المسلمين والمشركين سواء كانت مقيدة أم مطلقة . قال تعالى : (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين)[4] وبذلك لم يعدلهم أمان فى الدنيا ووجب على المسلمين قتالهم كافة .

ولقد صور القرآن الكريم حال من يشرك بالله بحال من يهوى من أفق

---

(١) سورة الأنعام : ٨٨ .
(٢) سورة الأنعام : ١٥١ .
(٣) سورة الأنعام : ٨٥ ، ٨٦ .
(٤) سورة التوبة : ١ .

الإيمان السامق إلى حيث الفناء والانطواء إذ يفقد القاعدة الثابتة التى يطمئن إليها قاعدة التوحيد ، ويفقد المستقر الآمن الذى يثوب إليه فتخطفه الأهواء تخطف الجوارح ، وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح . وهو لايمسك بالعروة الوثقى ، ولا يستقر على القاعدة الثابتة التى تربطه بهذا الوجود الذى يعيش فيه . قال تعالى :

(ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)[1] .

ثالثا : المشركون مطرودون من رحمة الله فى الآخرة :

إن الشرك انقطاع مابين الله والعباد ؛ فلا يبقى للمشركين معه أمل فى مغفرة إذا خرجوا من الدنيا وهم مشركون مقطوعون الصلة بالله رب العالمين أما ماوراء ذلك من الذنوب والكبائر فإن الله يغفره قال تعالى : (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)[2].

وقال تعالى : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)[3] .

---

(١) سورة الحج : ٣١ .
(٢) سورة النساء : ١١٦ .
(٣) سورة المائدة : ٧٢ .

الوصية الثانية

الإحسان إلى الوالدين

قال تعالى : (وبالوالدين إحسانا)

الجار والمجرور متعلق بمضمر أى وتحسنوا أو وأحسنوا[1].

ولقد جاء الأمر بالإحسان إلى الوالدين بعد النهى عن الشرك لأن الرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة هى رابطة الأسرة ومن ثم يربط السياق بر الوالدين بالنهى عن الإشراك بالله إعلانا لقيمة هذا البر عند الله .

والإحسان إلى الوالدين يكون فى الإطار التى وضعه الكتاب والسنة على النحو التالى : ـ

أولا : ألا يبد من الأولاد ما يدل على الضجر والضيق وما يشى بالإهانة وسوء الأدب (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما)[2] .

ثانيا : أن يكون كلام الأولاد للوالدين يشى بالإكرام والاحترام(وقل لهما قولا كريما)[3] .

ثالثا : أن يبالغ الأولاد فى الرحمة والعطف على الوالدين (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)[4] .

رابعا : أن يتوجه الأولاد إلى الله أن يرحم الوالدين فرحمة الله أوسع ورعايته أشمل وجنابه أرحب وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا)[5].

---

(١) تفسير أبو السعود جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٢ ، ٣) سورة الإسراء : ٢٣

(٤ ، ٥) سورة الإسراء : ٢٤ .

خامسا : استئذان الولد والديه قبل الخروج إلى الجهاد وفى هذا رعاية للوالدين حيث قدم الإسلام برهما على الجهاد فربما تكون الأم وحيدة فى حاجة إلى رعاية إبنها وكذلك الأب وهذا السلوك الحضارى أخذت به بعض الحكومات الحديثة حيث تعفى الولد الوحيد للوالدين من التنجيد . عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجلا هاجر إلى رسول الله ﷺ من اليمن فقال : يارسول الله إنى هاجرت فقال رسول الله ﷺ قد هاجرت من الشرك ولكنه الجهاد هل لك أحد باليمن ؟ قال: أبواى.قال: أذنا لك ؟ قال : لا. قال : فارجع فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد وإلا تجبرهما[1] .

سادسا : البر بالوالدين لا يقتصر على حال الحياة فقط بل يمتد إلى بعد وفاتهما . عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما قال : نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما[2] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه[3] .

سابعا : البر بالوالدين لا يقتصر على الأب المسلم والأم المسلمة بل يشمل الأب الكافر والأم الكافرة وهذه لفتة طيبة من الإسلام لأن الأم تعانى

---

(١) المستدرك جـ ٢ ص ١٠٤ كتاب الجهاد .

(٢) سنن ابن ماجة جـ ٢ كتاب الأدب ٣٣ باب ٢ ، ٣ رقم الحديث ٣٦٦٤ ص ١٠٨ .

(٣) صحيح مسلم ـ كتاب البر ٤٥ جـ ٤ باب ١٢ ص ١٩٧٩ ط١ عيسى الحلبى .

فى سبيل سعادة الإبن وكذلك الأب أيا كانت ديانته فلذلك وجب الإحسان إلى الوالدين بصرف النظر عن ديانتهما . عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها قالت : قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله ﷺ ، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : قدمت على أمى وهى راغبة أفأصل أمى ؟ قال : نعم صلى أمك[1] .

ولكن القرآن الكريم حينما يحث على البر بالأب الكافر والأم الكافرة ينبه الأولاد المسلمين على المحافظة على العقيدة فلا يطيعوا الآباء فى الشرك بالله. قال تعالى : (وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا)[2] .

قيمة البر بالوالدين فى الإسلام :

فى القرآن الكريم الإحسان إلى الوالدين يأتى فى المرتبة الثانية بعد الأمر بعبادة الله وحده وتلك قيمة عظيمة للبر بالوالدين ، قال تعالى : (وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا)[3] .

وقال تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا)[4]

وقال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا)[5] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت النبى ﷺ أى العمل

---

(١) متفق عليه .
(٢) سورة لقمان / ١٥
(٣) سورة البقرة / ٨٣
(٤) سورة النساء / ٣٦ .
(٥) سورة الإسراء / ٢٣ .

أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها قلت : ثم أى ؟ قال : ثم بر الوالدين . قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا يجزى والد ولده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه[2] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : رغم أنفه ثم رغم أنفه ، ثم رغم أنفه قيل من يا رسول الله . قال : من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة[3] .

فالأحاديث النبوية الشريفة تؤكد قيمة البر بالوالدين فى الإسلام .

فالحديث الأول يبين أن البر بالوالدين من أحب الأعمال إلى الله .

والحديث الثانى يبين أن الابن لا يستطيع أن يجزى والده على ما بذله من جهد وتضحية إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه .

والحديث الثالث يبين أن الإنسان إذا لم ينتهز فرصة وجود والديه فى الحياة الدنيا فلن يجد فرصة أثمن من تلك الفرصة طوال حياته فى أن تكون سببا له فى دخول الجنة . من أجل ذلك كان عقوق الوالدين من أكبر الكبائر .

عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا ؟ قلنا بلى يا رسول الله قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[4] .

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ كتاب الأدب ٧٨ باب ١ ص ٤٠٠ ط السلفية .

(٢) سند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٢ ص ٤٤٥ رقم الحديث ٣٧٦ ط بيروت .

(٣) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ٤٥ باب ١٠ ص ١٩٧٨ جـ ٤ ط عيسى الحلبى .

(١) فتح البارى جـ ١١ كتاب الاستئذان ٧٩ باب ٣٥ رقم الحديث ٦٢٧٣ ص ٦٦ ط السلفية .

الحكمة فى تكرار الوصية بالوالدين بوجه عام وبوجه خاص بالأم فى القرآن الكريم والسنة :

إن الحياة وهى مندفعة فى طريقها بالأحياء ، توجه اهتمامهم القوى إلى الأمام . إلى الذرية . إلى الناشئة الجديدة . إلى الجيـــل المقبل . وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء . إلى الآبوة . إلى الحياة الموالية . إلى الجيل الذاهب ، ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف ، وتتلفت إلى الآباء والأمهات ، ليذكر واجب الجيل الذى أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف ، ولهذا المعنى أيضا نجد القرآن الكريم يلفت نظر الأبناء إلى الجهد التى بذلته الأم فى حال الحمل والرضاع لأن الولد لم يدرك ذلك الجهد حيث كان طفلا ولذلك يذكره القرآن دائما بما بذلته من جهد كبير . قال تعالى : ـ

(ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير)[1] .

وقال تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)[2].

ولهذا المعنى أيضا وهو التذكير المستمر للولد بما بذلته الأم من جهد كبير من أجله فى الحمل والوضع والرضاع كانت وصية الرسول ﷺ بالأم ثلاث مرات والأب مرة واحدة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله : من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أمك قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال أبوك[3] .

---

(١) لقمان / ١٤ (٢) الأحقاف / ١٥ .

(٢) صحـــيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ج ٤ باب ١٠ ج ٤ ص ١٩٧٨ ط عيسى الحلبى .

الوصية الثالثة

النهى عن قتل الأولاد

قال تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) .

بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى الأنبياء بالبر بالوالدين أمر الآباء بعدم قتل الأولاد خشية الإملاق فالله رازق للجميع .

وقال الله تعالى فى سورة الإسراء (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق)[1] وفى الآية التى نحن بصدد تفسيرها قال (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) لأن هذه الآية فى الفقر الناجز وآية الإسراء فى الفقر المتوقع .

وفى هذا الموضع - أعنى فى سورة الأنعام - قدم رزق الآباء على رزق الأبناء (نحن نرزقكم وإياهم) لأن قتل الآباء للأبناء كان بسبب فقر الآباء فعلا فقدم رزق الآباء . وفى سورة الإسراء قدم رزق الأبناء على رزق الآباء (نحن نرزقهم وإياكم) لأن قتل الأولاد خشية وقوع الفقر كان بسببهم فقدم رزق الأولاد . فكان التقديم والتأخير وفق مقتضى الدلالات التعبيرية هنا وهناك[2] .

وكان بعض أهل الجاهلية يقتلون البنات خشية الفقر فبين الله سبحانه وتعالى لهم أنه يضمن رزق الجميع قال تعالى : (وفى السماء رزقكم وما توعدون)[3] وقال فى آية أخرى : إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)[4]

---

(١) سورة الإسراء : ٣١ .

(٢) بتصرف من أسرار التكرار فى القرآن ص ٧٥ .

(٣) سورة الذاريات : ٢٢ .

(٤) سورة الذاريات : ٥٨ .

وقال فى آية أخرى (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها)[1] والحقيقة أن ذلك الفعل السيء جاء نتيجة لانحراف العقيدة . فإن انحراف العقيدة وفسادها ينشىء آثاره فى حياة الجماعة الواقعية ولا يقتصر على فساد الاعتقاد والطقوس التعبدية ، وتصحيح العقيـــدة ينشىء آثاره فى صحة المشاعر وسلامتها ، وفى سلامة الحياة الاجتماعية واستقامتها .

---

(١) سورة هود : ٦ .

الوصية الرابعة

النهى عن مقاربة الفواحش ما ظهر منها وما بطن

قال تعالى : (ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن) وتوسيط النهى عن الفواحش بين النهى عن قتل الأولاد والنهى عن القتل مطلقا كما وقع فى سورة الإسراء لأن الزنا فى حكم قتل الأولاد فإن أولاد الزنا فى حكم الأموات .

والفواحش : كل ما أفحش أى تجاوز الحد والمراد بها الزنا (ماظهر منها) أى ما يفعل منها علانية (وما بطن منها) أى ما يفعل سراً باتخاذ الأخدان ، وتعليق النهى بقربانها إما للمبالغة فى الزجر عنها لقوة الدواعى إليها ، وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها . وقوله (ولا تقربوا الفواحش) كقوله تعالى : (ولا تقربوا الزنا)[1] إلا أنه جيء هنا بصيغة الجمع قصد إلى النهى عن أنواعها ولذلك أبدل عنها قوله تعالى (ماظهر منها وما بطن)[2] .

أضرار الزنا :

قال تعالى :(ولا تقربو الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا)[3] إن فى الزنا قتلا من نواحى شتى . إنه قتل ابتداء لأنه إراقة لمادة الحياة فى غير موضعها ، يتبعه غالباً الرغبة فى التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق أو بعد أن يتخلق ، قبل مولده أو بعد مولده فإذا ترك الجنين للحياة ترك فى الغالب لحياة شريرة أو حياة مهينة ، فهى حياة مضيعة فى المجتمع على نحو من الأنحاء ... وهو قتل فى صورة أخرى . قتل للجماعة التى يفشو فيها فتضيع

---

(١) سورة الإسراء : ٣٢ .

(٢) تفسير أبو السعود جـ ٢ ص ٣٠٣ .

(٣) سورة الإسراء : ٣٢ .

الأنساب وتختلط الدماء ، وتذهب الثقة فى العرض والولد وتتحلل الجماعة وتتفكك روابطها ، فتنتهى إلى ما يشبه الموت بين الجماعات وهو قتل للجماعة من جانب آخر إذ أن سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجعل الحياة الزوجية نافلة لاضرورة لها ، ويجعل الأسرة تبعة لاداعى إليها والأسرة هى المحضن الصالح للفراخ الناشئة لاتصح فطرتها ولا تسلم تربيتها إلا فيه .

والزنا قتل للأفراد الذين يمارسونه إذ تنتشر بينهم أمراض خطيرة ، ولا تقتصر الأمراض على الزنا بل تمتد إلى ذريتهم من بعدهم ، وهكذا ينتشر فى المجتمع أفراد مرضى لا يستطيعون الأخذ بيده إلى الأمام . وما من أمة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى انحلال منذ التاريخ القديم إلى العصر الحديث . وصدق الله إذ يقول (إنه كان فاحشة وساء سبيلا) .

وسائل الوقاية من الزنا :

لقد اتخذ الإسلام وسائل للوقاية من الزنا ليحفظ الجماعة الإسلامية من التردى والانحلال ، وهذه هى الوسائل :

أولا : غض النظر عن المحرمات .

وذلك الأمر يستوى فيه الرجال والنساء على حد سواء . قال تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن)[1] .

وليس المراد من غض البصر أن يغمض الإنسان عينيه ويكون عاجزاً عن السير فى الطريق بل المراد حفضه عن المحرمات .

---

(١) سورة النور : ٣٠ ، ٣١ .

عن على رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : (لاتتبع النظر النظر فإن الأولى لك وليست الأخيرة)[1] .

ثانيا : النهى عن الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط لغير ضرورة :

عن جابر بن عبد قال : قال رسول الله ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم فإن ثالثهما الشيطان[2] .

ثالثا : النهى عن التبرج :

قال تعالى : (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن . أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غـــير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون)[3] .

هذه الآية من سورة النور تقرر مبادىء هامة تحفظ المرأة ، وتحفظ الرجل من الاستثارة الجنسية وهذه المبادىء هى :

١ ــ عدم كشف المرأة لأى شىء من أجزاء جسدها إلا الوجه واليدين .

٢ ــ وضع المرأة الخمار على الرأس والنحر والصدر لتدارى بذلك مفاتنها فلا تعرضها للعيون الجائعة .

٣ ــ إخفاء الزينة حتى لاتتسبب فى إثارة الرجال .

---

(١) الفتح الربانى جـ ١٢ ص ٧٣ .

(٢) الفتح الربانى جـ ١٦ ص ٧٦ .

(٣) سورة النور : ٣١ .

٤ — هذا التحشم وسيلة من الوسائل الوقائية للفرد والجماعة ومن ثم يبيح القرآن تركه عندما يأمن الفتنة فيستثنى المحارم الذين لاتتوجه ميولهم عادة ولا تثور شهواتهم كما هو مذكور فى الآية .

رابعاً : النهى عن دخول أقارب الزوج على الزوجة غير أصوله وفروعه فى غياب الزوج :

عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار : يارسول الله أفرأيت الحمو قال الحمو : الموت[1] . والحمو : أقارب الزوج .

وقد يتساهل الزوج فيدخل ابن عمه أو أخوه مثلا على زوجته فى غيابه وذلك هو الخطر العظيم وكم من أسر دمرت بسبب ذلك التساهل ثم بعد ذلك يندمون ولات ساعة مندم .

والإسلام يؤمن بأن الوقاية خير من العلاج لذلك منع دخول المخنث على النساء .عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رجل يدخل على أزواج النبى ﷺ مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الإربه فدخل النبى ﷺ يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة فقال : إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فقال النبى ﷺ : ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لايدخل عليكن هذا المخبوه[2] .

خامساً : الحث على الزواج لمن استطاع .

قال تعالى : (فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع)[3] .

(١) الفتح الربانى جـ ١٦ ص ٧٧ .
(٢) نفس المصدر السابق جـ ١٦ ص ٨٠ ، ٨١ .
(٣) سورة النساء : ٣ .

هذا أمر بالنكاح والأمر يقتضى الطلب وأقل درجاته الندب فهذا ترغيب من القرآن فى الزواج .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج[1] .

سادساً : الأمر بالاستعفاف لمن لم يستطع الزواج .

قال تعالى : (وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله)[2] .

وقد حث رسول الله ﷺ الشباب الذى لا يستطيع الزواج على الصوم لأن الصوم وقاية له من الوقوع فى الزنا حيث يعوده على سلوك معين من غض للبصر فيتعود على ذلك السلوك العفيف فلا يقع فى الزنا قال رسول الله ﷺ عن علقمه : كنت مع ابن مسعود وهو عند عثمان رضى الله عنه فقال له عثمان رضى الله عنه ما بقى للنساء منك قال : فلما ذكرت النساء قال ابن مسعود : أدن يا علقمة قال وأنا رجل شاب فقال عثمان رضى الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتية من المهاجرين فقال : من كان منكم ذا طول فليتزوج فإنه أغض للطرف وأحصن للفرج ومن لا فإن الصوم له وجاء[3] .

سابعاً : تيسير الزواج .

وتيسير الزواج يكون بأحد أمرين :

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة النور : ٣٣ .

(٣) أخرجه أحمد ج ١ ص ٥٨ .

الأمر الأول : أن تعين الجماعة المسلمة من يريد النكاح ويقف المال فى طريقهم قال تعالى : (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم)[1] .

الأمر الثانى : عدم المغالاة فى المهور لأن هذا يقف حجر عثرة فى طريق الشباب إلى الحلال بينما يجد الطرق أمامه مفتوحة وسهلة ميسرة إلى الحرام . فالغلو فى المهور ليس من الإسلام فى شىء ويتعارض مع هدى النبى ﷺ .

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها[2] .

فهذا التيسير فى الزواج يساهم مساهمة فعالة فى الحد من انتشار الزنا ويقى المجتمع من شروره .

ثامناً : توقيع أشد العقوبة على جريمة الزنا :

قال تعالى : (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنون)[3] .

ولما كان النص القرآنى مجملا وعاما ، وكان رسول الله ﷺ - قد رجم الزانيين المحصنين فقد تبين من هذا أن الجلد خاص بغير المحصن .

عن جابر أن رجلا من أسلم أتى النبى ﷺ وهو فى المسجد فقال : إنه قد زنى فأعرض عنه فتنحى لشقه الذى أعرض . فشهد على نفسه أربع شهادات فدعاه فقال : هل بك جنون ؟

---

(١) سورة النور : ٣٢ .

(٢) أخرجه أحمد جـ ٦ ص ٧٧ .

(٣) سورة النور : ٢ .

هل أحصنت ؟ قال نعم . فأمر به أن يرجم بالمصلى فلما أذلقته الحجارة حجز حتى أدركته بالحرة فقتل [1].

وهناك خلاف فقهى حول تغريب الزانى غير المحصن مع جلده . . وحول جلد الزانى غير الحر . . . وهو خلاف طويل لا ندخل فى تفصيله هنا ، يطلب فى موضعه من كتب الفقه . إنما نمضى نحن مع حكمة التشريع فنرى أن عقوبة البكر هى الجلد ، وعقوبة المحصن هى الرجم ذلك أن الذى سبق له الوطء فى نكاح صحيح . وهو مسلم حر بالغ قد عرف الطريق النظيف وجربه ، فعدوله عنه إلى الزنا يشى بفساد فطرته وانحرافها فهو جدير بتشديد العقوبة بخلاف البكر الذى قد يندفع تحت ضغط الميل وهو غرير ثم يزيد القرآن فى تفظيع الفعلة وبتشيعها فيقطع ما بين فاعليها وبين الجماعة المسلمة من وشيجة قال تعالى : (الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) [2].

ولقد دار خلاف بين الفقهاء حول حرمة نكاح المؤمن للزانية ما لم تتب ، ونكاح المؤمنة للزانى كذلك . والمسألة خلافية تطلب فى كتب الفقه . وعلى أية حال فهى فعلة تعزل فاعلها عن الجماعة المسلمة ، وتقطع ما بينه وبينها من روابط . وهذه وحدها عقوبة اجتماعية أليمة كعقوبة الجلد أو أشد وقعا .

تاسعا : تشديد العقوبة على رمى المحصنات الغافلات دون برهان :

قال تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون

---

(١) فتح البارى جـ ٩ ص ٣٨٨ كتاب ٦٨ باب ١١ رقم الحديث ٥٢٧٠ .
(٢) سورة النور: ٣ .

إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم)[1].

إن إطلاق الإشاعات على الناس الأبرياء بدون دليل ووسمهم بالفاحشة دون برهان يوحى إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب الزنا أن جو الجماعات كله ملوث وأن الفعلة فيها شائعة فيقدم على من كان يتحرج منها وتهون فى حسه بشاعتها بكثرة ترددها وشعوره بأن كثيرين غيره يأتونها . وبذلك يساعد القذف على انتشار فاحشة الزنا . لهذا وصيانة للأعراض من التهجم وحماية لأصحابها من الآلام الفظيعة التى تصب عليهم ، شدد القرآن الكريم فى عقوبة القذف فجعلها قريبة من عقوبة الزنا . . . ثمانين جلدة مع إسقاط الشهادة والوصم بالفسق .

عاشرا : نفى الخوف من الفقر بسبب الأولاد .

قد يحجب البعض عن الزواج خوفا من الفقر إذا رزقه الله بأولاد وهذا سلوك فيه شرك بالله سبحانه وتعالى لأن الله سبحانه قد أوجب على نفسه مختارا أن يرزق هذا الحشد الهائل الذى يدب على هذه الأرض فأودع هذه الأرض القدرة على تلبية حاجات هذه المخلوقات جميعا — وأودع هذه المخلوقات القدرة على الحصول على رزقها من هذا المودع فى الأرض صورة من صورة خاصة أو منجتا بالزرع أو مصنوعا أو مركبا إلى آخر الصور المتجددة لإنتاج الرزق وإعداده . . حتى إن بعضها ليتناول رزقه دما حيا مهضوما . كالبعوضة والبرغوث .

قال تعالى : (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها)[2].

وهكذا يأخذ الإسلام الطريق على الأسباب الدافعة للزنا خوفا من الوقوع فيه .

---

(١) سورة النور ٧٢٦ .

(٢) سورة هود / ٦

الوصية الخامسة

النهى عن قتل النفس

قال تعالى : (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) بعد أن بين القرآن الكريم حقوق الأسرة فى توصية الأولاد بالوالدين وكذلك واجب الآباء نحو أبنائهم بدأ ببيان حق الجماعة الإسلامية كلها . فقال : (ولا تقتلوا النفس) الخ الآية واللام فى النفس للجنس ، (التى حرم الله) صفة للنفس أى لا تقتلوا شيئا من الأنفس التى حرمها الله (إلا بالحق) أى إلا بما يوجبه الحق ، والاستثناء مفرغ : أى لا تقتلوه فى حال من الأحوال إلا فى حال الحق ، أو لا تقتلوها بسبب إلا بسبب الحق ، ومن الحق قتلها قصاصا وقتلها بسبب زنا المحصن وقتلها بسبب الردة ونحو ذلك من الأسباب التى ورد الشرع بها[1] .

(ذلكم) إشارة إلى ما ذكر من التكاليف الخمسة (النهى عن الإشراك بالله ، والإحسان إلى الوالدين ، النهى عن قتل الأولاد . النهى عن فعل الفواحش . النهى عن قتل النفس) واستخدام الإشارة الدالة على البعد للإيذان بعلو طبقاتها بين التكاليف الشرعية . (وذلك) مبتدأ (وصاكم) خبره . والجملة استئناف جىء به تجديدا للعهد ، وتأكيدا لإيجاب المحافظة على ما كلفوه . ولما كانت الأمور المنهى عنها مما تقضى بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى (لعلكم تعقلون) أى تستعملون عقولكم التى تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة .[2] ولعل تفيد تحقيق الوقوع .

---

(١) تفسير فتح القدير جـ ٢ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢) تفسير أبو السعود جـ ٢ ص ٣٠٤ .

وهذه الآية تبين بوضوح موقف الإسلام من قتل النفس . فقتل النفس عنده كبيرة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : اجتنبوا السبع الموبقات : قيل يارسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات [1].

وقال تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) [2] .

ومن وفاء الإسلام أنه حفظ للمعاهد حياته بين المسلمين . عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها يوجد من سيرة أربعين عاما) [3] وأجار الإسلام المشرك وأبلغه مأمنه حتى يسمع كلام الله . قال تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) [4].

كل هذه النصوص تؤكد أن الإسلام حرم قتل النفس فالله واهب الحياة وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفى الحدود التى يرسمها وكل نفس هى حرم لا يمس ، وحرام إلا بالحق . وهذا الحق الذى يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه . وليس متروكا للرأى ، ولا متأثرا بالهوى .

---

(١) فتح البارى جـ ١٢ باب ٣٣ ط السلفية .

(٢) سورة النساء: ٩٣ .

(٣) أخرجه أحمد جـ ٥ ص ٥٢ والنسائى بلفظ لم يجد جـ ٨ ص ٢٣ .

(٤) سورة التوبة .

وقد جاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : (لا يحل امرىء مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث إلخ : النفس بالنفس ، والزانى المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة)[1] .

وهذا الحديث النبوى الشريف ذكر ثلاثة أسباب مبيحة للقتل : —

الأول : القصاص العادل الذى إن قتل نفساً فقد ضمن الحياة لنفوس .

(ولكم فى القصاص حياة)[2] حياة بكف يد الذين يهمون بالاعتداء على الأنفس والقصاص ينتظرهم فيردعهم قبل الإقدام على الفعلة النكراء ، وحياة بكف يد أصحاب الدم أن تثور نفوسهم فيثأروا ولا يقفوا عند القاتل بل يمضوا فى الثأر ، ويتبادلوا القتل ، فلا يقف هذا الفريق وذاك حتى تسيل دماء ودماء ، وحياة بأمن كل فرد على شخصه واطمئنانه إلى عدالة القصاص ، فينطلق آمناً يعمل وينتج فإذا الأمة كلها فى حياة ـ ولقد جعل الله سبحانه ـ لولى المقتول وهو أقرب عاصب إليه سلطاناً على القاتل « إن شاء قتله ، وإن شاء عفا على الدية ، وإن شاء عفا عنه بلا دية فهو صاحب الأمر فى التصرف فى القاتل ، لأن دمه له . وفى مقابل هذا السلطان الكبير ينهاه الإسلام عن الإسراف فى القتل استغلالا لهذا السلطان الذى منحه إياه .

والإسراف فى القتل يكون بتجاوز القتل إلى سواه ممن لا ذنب لهم — كما يقع فى الثأر الجاهلى الذى يؤخذ فيه الآباء والإخوة ، والأبناء والأقارب بغير ذنب إلا أنهم من أسرة القاتل — ويكون الإسراف كذلك بالتمثيل بالقاتل . قال تعالى : (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان منصوراً)[3] .

---

(١) متفق عليه — فتح البارى جـ ١٢ كتاب ٨٧ باب ٦ ص ٢٠١ وصحيح مسلم — جـ ٣ كتاب ٢٨ باب ٦ ص ١٣٠٢ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٩ .

(٣) سورة الإسراء : ٣٣ .

وفى تولية صاحب الدم على القصاص من القاتل ، وتجنيد سلطان الشرع وسلطان الحاكم لنصرته تلبية للفطرة البشرية ، وتهدئة للغليان الذى تستشعره نفس الولى ، الغليان الذى قد يحرفه ويدفعه إلى الضرب يميناً وشمالا فى حمى الغضب والانفعال على غير هدى . فأما حين يحس أن الله قد ولاه على دم القاتل ، وأن الحاكم يجند لنصرته على القصاص . فإن ثائرته تهدأ ونفسه تسكن ويقف عند حد القصاص العادل الهادىء ، ولقد جعل الإسلام لولى الدم أن يقتص أو يصافح ، وشعور ولى الدم بأنه قادر على كليهما قد يجنح به إلى الصفح والتسامح أما شعوره بأنه مرغم على الصفح قد يهيج نفسه ويدفع به إلى الغلو والجماح .

السبب الثانى المبيح للقتل : هو دفع الفساد القاتل فى انتشار الزنا وهو لون من القتل الذى بيناه فى أضرار الزنا .

السبب الثالث المبيح للقتل : هو دفع الفساد الروحى الذى يشيع الفوضى فى الجماعة ، ويهدد أمنها ونظامها الذى اختاره الله لها ويسلمها إلى الفرقة القاتلة ، والتارك لدينه المفارق للجماعة إنما يقتل لأنه اختار الإسلام ولم يجبر عليه ، ودخل فى جسم الجماعة المسلمة ، واطلع على أسرارها ، فخروجه بعد ذلك عليها فيه تهديد لها . ولو بقى خارجها ما أكرهه أحد على الإسلام . . بل لتكفل الإسلام بحمايته إن كان من أهل الكتاب وبإجاره وإبلاغه مأمنه إن كان من المشركين ، وليس بعد ذلك سماحة للمخالفين فى العقيدة .

وهكذا وضع الإسلام المبادىء الكفيلة بحفظ حياة الفرد والجماعة .

الوصية السادسة

النهى عن أكل مال اليتيم

قال تعالى : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده) بعد أن تحدث القرآن عن حرمة النفس ومنع قتلها إلا بالحق بدأ بالحديث عن حرمة اليتيم ومنع ظلمه بأى حال من الأحوال . (ولا تقربوا مال اليتيم) وتوجيه النهى إلى قربانه من المبالغة فى النهى عن أكله (إلا بالتى هى أحسن) أى لاتتعرضوا له بوجه من الوجوه إلا بالخصلة التى هى أحسن مايكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك .

والخطاب للأولياء والأوصياء لقوله تعالى : (حتى يبلغ أشده) فإنه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهى كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغاً رشيداً فحينئذ سلموه إليه كما فى قوله تعالى : (فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم)[1]،[2] .

واختلف أهل العلم فى الأشد : فقال أهل المدينة : بلوغه وإيناس رشده، وقال أبو حنيفة : خمس وعشرون سنة ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو البلوغ ، وقيل إنه انتهاء الكهولة ، ومنه قول سميح الرياحى :

أخو الخمسين مجتمع أشدى ونجدتى مداورة الشئون

والأولى فى تحقيق بلوغ الأشد أنه البلوغ إلى سن التكليف مع إيناس الرشد وهو أن يكون فى تصرفاته بماله سالكا مسلك العقلاء ، لا مسلك أهل السفه والتبذير ، ويدل على هذا قوله تعالى فى سورة النساء : (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم)[3]

---

(١) سورة النساء : ٦ .

(٢) تفسير أبو السعود جـ ٢ ص ٣٠٤ .

(٣) سورة النساء : ٦ .

فجعل بلوغ النكاح ، وهو بلوغ سن التكليف مقيداً بإيناس الرشد، والأشد واحد لا جمع له ، وقيل واحده شد كقلس وأقلس وأصله من شد النهار : أى ارتفع . وقال سيبويه واحده شده ، قال الجوهرى : وهو حسن فى المعنى، لأنه يقال بلغ الكلام شدته ولكن لا تجمع فعله على أفعل[1] .

توجيهات القرآن الكريم لأولياء اليتامى :

لقد كان الأولياء والأوصياء على اليتامى فى المجتمع الجاهلى لا يعطون لليتامى أموالهم وإذا أعطوهم بدلوا الجيد بالردىء ثم أخذوا لأنفسهم الجيد من الأرض والنقود وتركوا لليتامى الردىء — وكانوا أيضاً يأكلون أموال اليتامى بضمها إلى أموالهم كلها أو بعضها .

فجاء القرآن يحذرهم من هذا الذنب الكبير . قال تعالى : (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيرا)[2] .

ويمس القرآن شغاف القلوب — قلوب الآباء المرهفة الحساسية تجاه ذريتهم الصغار . بتصور ذريتهم الضعاف مكسورى الجناح ، لا راحم لهم ولا عاصم ، كى يعطفهم هذا التصور على اليتامى الذين وكلت إليهم أقدارهم ، بعد أن فقدوا الآباء . فهم لا يدرون أن تكون ذريتهم غداً موكولة إلى من بعدهم من الأحياء كما وكلت إليهم هم أقدار هؤلاء مع توصيتهم بتقوى الله فيمن ولاهم الله عليه من الصغار ، لعل الله أن يهىء لصغارهم من يتولى أمرهم بالتقوى والتحرج والحنان ، وتوصيتهم كذلك بأن يقولوا فى شأن اليتامى قولا سديداً ، ولم يرعونهم كما يرعون أموالهم ومتاعهم .

---

(١) فتح القدير جـ ٢ ص ١٧٨ .
(٢) النساء / ٢ .

قال تعالى : (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً)[1] .

وبين القرآن للأولياء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً أن هذا المال نار وأنهم ليأكلون هذه النار وإن مصيرهم لإلى النار . قال تعالى : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً)[2] .

فكان هذا التهديد له أثر فى تصرفات الأولياء .

من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) انطلق من كان عنده يتيم ، فعزل طعامه من طعامه ، وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل الشيء، فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ — فأنزل الله (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالفوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم)[3] .

أى أن الإصلاح لليتامى خير من اعتزالهم والمخالطة لا حرج فيها إذا حققت الخير لليتيم — والله يعلم المفسد من المصلح — فليس المعول عليه هو ظاهر العمل وشكله ولكن نيته وثمرته ، والله لا يريد إحراج المسلمين وإعناتهم والمشقة عليهم فيما يكلفهم ولو شاء الله لكلفهم هذا العنت .

فإذا بلغ اليتامى النكاح وآنس الأولياء منهم رشداً فى تصرفاتهم وجب

---

(١) النساء / ٩ .
(٢) النساء / ١٠ .
(٣) البقرة / ٢٢٠ .

عليهم أن يسلموا الأموال كاملة إلى اليتامى مع المحافظة عليها فى أثناء القيام عليها وعدم المبادرة إلى أكلها بالإسراف قبل أن يكبر أصحابها فيتسلمونها مع الاستعفاف عن أكل شيء منها مقابل القيام عليها — إذا كان الولى غنيا ؛ والأكل منها فى أضيق الحدود إذا كان الولى محتاجا — ومع وجوب الإشهاد فى محضر التسليم قال تعالى :

(وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ، ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً)[1] .

ذلك هو المنهج الربانى فى المحافظة على أموال اليتامى حيث إن اليتيم ضعيف بفقده الوالد والمربى والحامى فأوصى الله به خيراً ولذلك كان جزاء من يحسن كفالة اليتيم وتربيته عظيما عند الله سبحانه .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : كافل اليتيم له أو لغيره ، وأنا وهو كهاتين فى الجنة . وأشار مالك بالسبابة والوسطى[2] .

---

(١) النساء / ٦ .

(٢) صحيح مسلم جـ ٤ كتاب الزهد ٥٣ باب ص ٢٧٨٧ حديث رقم ٢٩٨٣ .

الوصية السابعة

إيفاء الكيل والوزن

قال تعالى : (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفساً إلا وسعها) بعد أن أمر القرآن الكريم بالنهى عن أكل أموال اليتامى أمر بإيفاء الكيل والوزن وبين الوصيتين مناسبة حيث إن الوصيتين يشتركان فى النهى عن كسب الحرام .

وقوله تعالى : (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) أى بالعدل والتسوية (ولا نكلف نفساً إلا وسعها) إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جىء به عقب الأمر بالأمر وهو إيفاء الكيل والوزن للإيذان بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل : عليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفو عنكم .

ولقد نادى شعيب فى قومه بإيفاء الكيل والوزن بعد أن انتشر بينهم التطفيف فى الكيل والوزن .

قال تعالى : (وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ٭ ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين)[1] .

ولقد هدد الله سبحانه وتعالى المطففين فى مكة بالويل ولا يزال التهديد قائماً لكل من يسير على منهجهم .

قال تعالى : (ويل للمطففين ٭ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ٭ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)[2] .

أثرها على المجتمع :

تطفيف الكيل والوزن رذيلة تمس نظافة القلب واليد كما تمس المروءة والشرف وهى غش وخيانة فى التعامل تنزع بها الثقة ويتبعها الكساد ، وتقل بها البركة فى محيط الجماعة فيرتد هذا على الأفراد .

(١) سورة هود : ٨٤ ، ٨٥ . (٢) سورة المطففون : ١ ، ٢ ، ٣ .

الوصية الثامنة

العدل فى القول

قال تعالى : (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) .

بعد أن أمر القرآن بالعدل فى الكيل والوزن أمر بالعدل فى القول أيضاً ، وبين الوصيتين مناسبة وهو منع الظلم فى الحالتين .

وقوله : (وإذا قلتم فاعدلوا) أى إذا قلتم بقول فى خير أو شهادة أو جرح أو تعديل فاعدلوا فيه وتحروا الصواب ولا تتعصبوا فى ذلك لقريب أو بعيد ، ولا تميلوا إلى صديق ولا على عدو بل سووا بين الناس فإن ذلك من العدل الذى أمر الله به ـ والضمير فى (ولو كان) راجع إلى ما يفيده (وإذا قلتم) فإنه لابد للقول من مقول فيه أو مقول له : أى ولو كان المقول فيه أو المقول له (ذا قربى) أى صاحب قرابة لكم[1] .

أثر شهادة الزور على الفرد والمجتمع :

إن شهادة الزور كبيرة من الكبائر فهى عن الصفة الرذيلة صفة الكذب التى حذر الإسلام منها ، وبهذه الشهادة يعطى من لا يستحق ويحرم من يستحق فتحدث هزة فى المجتمع حيث تنعدم الثقة وتنتشر الشكوك . أما قول الحق ، وشهادة الحق تعطى الأمن والأمان وتنشر الثقة المتبادلة بين الأفراد ويظهر أثر ذلك جليا فى تماسك المجتمع يشد بعضه بعضاً .

ومن هنا كان تحذير الإسلام من شهادة الزور .

عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثا ؟ ـ قلنا : بلى يارسول الله . قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور

(١) فتح القدير ج ٢ ص ١٧٨ .

فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)[1] .

ومن عالمية الإسلام أنه لايقتصر فى الوصية بقول الحق بين أتباعه بل تمتد التوصية لتشمل أعداءه وينهى أن يحملهم الكرة لهم على ظلمهم .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا)[2] .

بهذه التوصية يضع الإسلام جذوراً قوية للمجتمع فلا تستطيع الرياح أن تعصف به .

---

(١) فتح البارى جـ ١١ كتاب الاستئذان ٧٩ باب ٣٥ رقم الحديث ٦٢٧٣ ص ٦٦ ط. السلفية .

(٢) سورة النساء : ١٣٥ .

الوصية التاسعة

الوفاء بالعهد

قال تعالى : (وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) .

ومن العدل أيضاً الوفاء بالعهد .

قوله : (وبعهد الله أوفوا) أى أوفوا بكل عهد عهده الله إليكم ، ومن جملة ما عهده إليكم ما تلاه عليكم رسوله بأمره فى هذا المقام ، ويجوز أن يراد به كل عهد ولو كان بين المخلوقين ، لأن الله سبحانه لما أمر بالوفاء به فى كثير من الآيات القرآنية كان ذلك مسوغا ، لإضافته إليه .[1] وتقديم الجار والمجرور على الفعل للاعتناء بشأن العهد (ذلكم) إشارة إلى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد للإيذان بعلو طبقاتها بين التكاليف الشرعية[2] (وصاكم به) أمركم به أمراً مؤكداً (لعلكم تذكرون) فتتعظون بذلك [3].

فالآية تفيد أن الله سبحانه وتعالى يأمر الناس جميعاً بالوفاء بالعهد سواء كان العهد عهد الله أم عهد البشر .

ولقد أخذ الله سبحانه وتعالى عهوداً كثيرة على عباده ولكن هذه العهود يرجع جميعها إلى عهد واحد فى صميمها — إنه العهد بين البارىء وعباده أن يصغوا قلوبهم إليه ، وأن يسلموا أنفسهم كلها له ومن بين هذه العهود : العهد المعقود بين فطرة الإنسان وبارئه : أن يعرفه ويعبده وحده لا شريك له — وهو العهد الذى لا يحتاج إلى بيان ، ولا يحتاج إلى برهان ، لأن فطرة الإنسان بذاتها تتجه إليه بأشواقها اللدنية ، ولا يصدها عنه إلا الغواية والانحراف .

---

(١) فتح القدير جـ ٢ ص ١٧٨ .

(٢) تفسير أبو السعود جـ ٢ ص ٣٠٣ .

قال تعالى : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)[1].

والوفاء بعهد الله يشمل بيعة المسلمين للرسول ﷺ ويشمل كل عهد على معروف يأمر به الله — قال تعالى : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)[2] .

ومن الوفاء بالعهد وفاء المحكومين للحاكم طالما يأمر بما يأمر به الله وينهى عما نهى الله عنه وكذلك وفاء الحاكم للمحكومين بأن يحكم بينهم بعدل الله وشريعته .

قال تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً . يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)[3] .

وإذا كان الناس مع ربهم موفين بعهده معهم والراعى مع رعيته موفياً بعهده معهم والرعية مع الراعى موفين بعهدهم معه فإن الناس جميعاً يكونون موفين بعهدهم مع بعضهم وهذا ما يرسمه الإسلام لمجتمعه ، يجتمع الكل فيه عند مسئوليته موفياً بعهده .

---

(١) سورة الأعراف / ١٧٢ .
(٢) سورة الفتح / ١٠ .
(٣) سورة النساء / ٥٨ : ٥٩ .

قال تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)[1] .

وكعادة الإسلام فى معاملته مع الناس موفياً بعهده مع الجميع حتى مع أعدائه — ولقد ترك القرآن وسنة الرسول ﷺ فى نفوس المسلمين أثراً قوياً وطابعاً عاماً فى الوفاء بالعهد ظل هو طابع التعامل الإسلامى الفردى والدولى المتميز .

روى أنه كان بين معاوية بن أبى سفيان وملك الروم أمد ، فسار إليهم فى آخر الأجل . حتى إذا انقضى وهو قريب من بلادهم أغار عليهم وهم غارون لا يشعرون — فقال له عمرو بن عتبة : الله أكبر يا معاوية . وفاء لا غدر سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من كان بينه وبين قوم أجل فلا يحلن عقده حتى ينقضى أمدها) فرجع معاوية بالجيش .

والقرآن الكريم يرفض أن يكون نقض العهد مع الأفراد أو الجماعات مبررة تحقيق المصلحة المسمى الآن بين الدول (مصلحة الدولة) .

قال تعالى : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون)[2] .

---

(١) سورة البقرة / ١٧٧ .

(٢) سورة النحل / ٩١ ، ٩٢ .

والإسلام لا يقر مثل هذا المبرر ، ويجزم بالوفاء بالعهد ، وعدم اتخاذ الأيمان ذريعة للغش ذلك فى مقابل أنه لا يقر تعاهداً ولا تعاوناً على غير البر والتقوى ولا يسمح بقيام تعاهد أو تعاون على الإثم والفسوق والعصيان، وأكل حقوق الناس ، واستغلال الدول والشعوب .

أثر الوفاء بالعهد على الفرد والجماعة :

الوفاء بالعهد ، إنه سماحة الإسلام التى يحرص عليها ، ويكررها القرآن كثيراً ، ويعدها آية الإيمان ، وآية الآدمية ، وآية الإحسان . وهى ضرورية لإيجاد جو من الثقة والطمأنينة فى علاقات الأفراد ، وعلاقات الجماعات ، وعلاقات الأمم ، والدول تقوم ابتداء على الوفاء بالعهد مع الله ، وبغير هذه السمة يعيش كل فرد مفزعاً قلقاً لا يركن إلى وعد ، ولا يطمئن على عهد ، ولا يثق بإنسان .

الوصية العاشرة

صراط الله المستقيم

قال الله تعالى : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

يرجع اسم الإشارة فى قوله (وأن هذا) إلى الوصايا السابقة التى تمثل القواعد الأساسية الواضحة التى تكاد تلخص العقيدة الإسلامية وشريعتها الاجتماعية مبدوءة بتوحيد الله ومختومة بعهد الله .

والمراد بالصراط ـ الطريق .

هذه الوصايا وما سبقها من حديث الحاكمية والتشريع هو صراط الله المستقيم ـ فيجب علينا أن نتبعه ، ولا نتبع السبل المتفرقة عن سبيل الله سبحانه وتعالى .

(ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) أى ماسبق من وصايا يجب علينا أن نحافظ عليها لكى تحدث لنا التقوى والحماية من الآثام والمخاطر التى تعرض حياتنا الدنيوية والأخروية لغضب الله سبحانه وتعالى ؟

نسأل الله السلامة ـ فى الدنيا والآخرة .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

نتائج البحث

من هذا البحث نستطيع أن نستخلص النتائج الآتية :

١ — التوحيد دعوة الرسل جميعاً من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ خاتم النبيين .

٢ — التوحيد أمر فطرى فى الإنسان والشرك أمر عارض .

٣ — اهتمام الإسلام بالأسرة حيث إنها اللبنة الأولى فى تكوين المجتمع إن صلحت صلح المجتمع كله وإن فسدت فسد المجتمع كله . ويتمثل ذلك الاهتمام فى توصية الأولاد بالآباء والآباء بالأبناء حتى تحيا الأسرة فى جو يسوده الهدوء والاستقرار .

٤ — دعوة الإسلام إلى الطهر والعفاف ناهياً عن مقاربة أسباب الزنا حتى يكون المجتمع طاهراً عفيفا .

٥ — محافظة الإسلام على حياة البشرية وعدم سلب حياة أى بشر بدون وجه حق كما بينه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

٦ — رحمة الإسلام بالضعفاء ، ويتمثل ذلك فى الاهتمام برعاية اليتيم وكفالته والأخذ بشدة على أيدى الذين يستغلون الضعفاء فى تطفيف الكيل والوزن لهم .

٧ — عدل الإسلام الذى يتمثل فى قول الحق ولو على نفس المسلم أو أقاربه وإذا كان الحق لصالح عدوه نهاه الإسلام أن يحمله هذا على الظلم لعدوه بأن يكتم الشهادة أو يقول غير الحق .

٨ — سماحة الإسلام التى تتجلى فى الوفاء بالعهد مع الله ومع الناس ومع الحاكم ومع الأعداء .

٩ — إتباع طريق الله فهو خير ضمان للفوز بالدنيا والآخرة .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الخاتمـــة

أحمد الله سبحانه وتعالى الذى وفقنى لكتابة هـذا البحث .

ولقد بذلت فيه قصارى جهدى متوخياً الصواب حتى تعم الفائدة المرجوة منه .

فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمن نفسى والشيطان .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

د . المحمدى عبد الرحمن عبد الله

المراجـــع

أولا : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب التفسير :

١ ـ تفسير أبي السعود .

٢ ـ فتح القدير .

٣ ـ أسرار التكرار فى القرآن للكرمانى .

ثالثاً : كتب السنة :

١ ـ سند الإمام أحمد بن حنبل .

٢ ـ المستدرك للحاكم .

٣ ـ سنن ابن ماجة .

٤ ـ صحيح مسلم .

٥ ـ صحيح البخارى .

٦ ـ فتح البارى .

٧ ـ الفتح الربانى .

٨ ـ سنن النسائى .